تعليم القرآن الكريم وترجمة معانيه في نيجيريا

موسى عبد السلام مصطفى أبيكن

التمهيد:

لقد انبثق فجر الإسلام على سماء نيجيريا في أواخر القرن الأول الهجري الذي فتح المسلمون العرب فيه شمال أفريقيا وجزءا من غربها[١]. وقد اندفع تيار الإسلام إلى نيجيريا من منبعين أولهما من مصر عبر السودان العربي، وثانيهما من شمال أفريقيا إلى جنوب الصحراء حتى وصل إلى المناطق الغابية والساحلية. ولم يكتسح الإسلام القبائل والشعوب اكتساحا، ولا أدرجها إدراجا في أول دخوله، ولكنه تسلل فيها تسللا قد يتسرب إلى ناحية دون أخرى، تكون بجوار قبيلة مسلمة، وأخرى كافرة، أو تكون في مدينة مسلمة، وبجانبها مدينة وثنية. وقد ترى من بعض أفراد أسرة واحدة من هو مسلم، وإلى جانبه من أعضاء الأسرة نفسها من لايزال تحت أغلال الكفر والوثنية[٢].

ولقد كان الإسلام ينتشر في ربوع أفريقيا الغربية بقوته الروحية لا بالقوة المادية، وكانت النفوس تنجذب إليه بمغناطيسه الطبيعي لا بدعاية الأموال والأسلحة. وللتجار المسلمين والعلماء الروحانيين فضل لاينكر في نشر الدعوة الإسلامية. هذا، وقد ساعد على ذيوع الإسلام وانتشاره بسرعة عجيب موافقته لطبيعة أهل البلاد في كثير من تعاليمه وتقاليده.

١- آدم عبد الله الإلوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٣٥.

٢- المرجع السابق، ص ٣٥.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

من أسباب انتشار الإسلام في نيجيريا:

العرب هم أول من نشر الإسلام في غرب أفريقيا ثم تلقاه منهم العجم كالبربر وسائر أجناس السودان وطبقاتهم من ملوك وأمراء وعلماء وفقهاء وعباد ونساك، كل قد أسهم في خدمة الإسلام ونشره في حدود إمكاناته وطاقاته. ويمكن أن نجمل هذه الأسباب في النقاط الآتية:

١- بساطة العقيدة وسماحة الإسلام:

إذا كان الإسلام قد انتشر في الشمال الأفريقي عن طريق الفتح فإن انتشاره في نيجيريا قد تم بوسائل أخرى، كان من أهمها بساطة العقيدة الإسلامية، وسماحة هذا الدين مما جذب إليه قلوب السكان، وحبب إليهم الدخول فيه. وقد قام بهذه الرسالة، وذلك المجهود الكبير، العرب المسلمون، وساعدهم على ذلك البربر، سكان شمال أفريقيا، كما أن الإسلام يحتوي على ميزات تجذب إليه الأتباع، أهمها أن الداخل فيه لايحتاج إلى جهد أو عناء، فإنه بعد تلك الامتيازات فإن الإسلام أباح الاجتهاد في فروع الشريعة لكل قادر، وهو المتمكن في فهم الكتاب والسنة، والملم بعلوم اللغة، وقواعد الاستنباط. فمن المقرر شرعا أن المجتهد ولو أخطأ مأجور، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر(٣).

٢- التجارة:

ومن أهم وسائل انتشار الإسلام في نيجيريا التجارة، وقد نزل التجار المسلمون على امتداد الشمال الأفريقي، والكثير منهم توغلوا إلى داخل البلاد على امتداد المدن والقرى الأفريقية التي يتردد عليها،وفي القرن الأول الهجري حمل التجار المسلمون إلى بلاد غرب أفريقيا في ركاب تجارتهم دينا جديدا هو الإسلام، كما حملوا عادات وتقاليد طيبة في السلوك والمعاملة، ولم يكن هؤلاء التجار كلهم طلاب ربح ومال، بل كان فيهم صفوة ممتازة من الفقهاء والعلماء الذين طلبوا تجارة الدنيا والآخرة معا، فاختلطوا مع سكان البلاد في الأسواق والمدن والقرى، وبثوا فيهم دين الله الحنيف(٤).

٣- دور الدعاة والمعلمين:

لقد انتشر الإسلام في نيجيريا على يد الدعاة والمعلمين الذين وهبوا أنفسهم لنشر هذا الدين بين أبناء البلاد. وهؤلاء الدعاة لايمثلون فئة مرسلة من قبل هيئة إسلامية أو حكومة مركزية بل كانوا يقومون

٣- فضل كلود الدكو، **الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٢١.

٤- المرجع السابق، ص ١٢٥.

بهذا العمل بدافع الواجب الديني، ورغبة منهم في كسب رضى المولى جل وعلا. إذا، لم تكن هناك هيئة تشرف على نشاطهم، وكانوا يجولون البلاد بأسرها، وزادهم الإيمان، ورفيقهم القرآن، وعونهم الصبر الجميل على مكابدة المخاطر، وهدفهم نشر كلمة التوحيد بين تلك الأمم التي تعيش على الفطرة والصفاء.

ولم يكن الدعاة يمثلون فئة معينة، بل كان منهم التاجر يتخذ من التجارة وسيلة لكسب العيش الحلال، ثم يقوم بأداء رسالته، فهو يبيع سلعة وينشر دينا، وباعتباره تاجرا، يستطيع الاتصال بجميع طبقات الشعب بحكم مهنته، وعن طريق هذا الاتصال يستطيع أن يدعو من يتوسم فيه قبول هذا الدين.

ومن الدعاة من كرس جهده لدعوة الناس إلى دين الإسلام، وانقطع لتعليم الداخلين فيه قواعد الشرع. وهؤلاء كانوا يتوغلون في داخل البلاد، ويختلطون بالسكان، ويتزوجون ممن يعتنقون الإسلام، ويقومون بتعليم الأطفال مبادئ العقيدة، وهؤلاء الدعاة يتوافد إليهم الأطفال المسلمون والوثنيون على السواء طلبا لهذا العلم الجديد، وبعد دراسة شيء من القرآن الكريم، يدخل كثير من الوثنيين في هذا الدين.

٤- الزوايا:

ومن وسائل انتشار الإسلام في نيجيريا الزوايا، والمقصود بالزوايا هنا هي الأماكن التي يتخذها المتصوفة لترويض النفس، وتربيتها على الخلق الإسلامي، وربما أطلقت على موضع من أركان المسجد، وبمرور الزمان، واتساع نطاق البلاد الإسلامية، اتسع مفهوم الزاوية، فهناك مئات من الزوايا التابعة للطريقة التجانية، وأخرى تابعة للطريقة القادرية في نيجيريا[٥] يقوم أصحاب تلك الزوايا بتعليم المسلمين مبادئ الإسلام مع تحفيظهم شيئاً من القرآن الكريم غالبا، وعلوم الفقه والحديث، وقواعد الدعوة، ثم إرسالهم إلى أماكن شتى دعاة مخلصين لدين الله، ويقومون بأعمال الإرشاد في المساجد، والقرى المسلمة، وبين رجال القبائل والعشائر وتعليم اللغة العربية لمن اعتنق الدين[٦].

القرآن الكريم كلام الله الحكيم،لاياتيه الباطل من بين يديه، ولامن خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وقد وصفه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله بأنه "حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر للأجيال الحاضرة والمستقبلية، نقب على الصحيح منها، وغادر الأباطيل التي ألحقتها الأوهام بها، ونبّه على وجوه العبرة فيها، حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن قص علينا من سيرهم، وما كان بينهم وبين أممهم، وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالتهم"[٧].

٥- المرجع السابق، ص ١٤٥.

٦- المرجع السابق، ص ١٣٥ -١٤٦.

٧- عبد الحميد محمود المسلوت، **الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام**، الجامعة الليبية، ط١، ١٩٧٣م، ص٣٦٣- ٣٦٤.

قد نزل بلسان عربي مبين، فراع العرب سحره، وبهرهم أسره، وأخذ بمجامع قلوبهم بيانه الساحر، وأسلوبه المعجز، فتوهموه سحرا وما هو بالسحر، وظنوه شعراً وليس بالشعر.

لقد كان القرآن الكريم المصدر الأول الذي اعتمد عليه المسلمون، وعلماء اللغة والأدب في تقعيد القواعد، وقد هدى الله العلماء الأولين إلى وضع علوم لخدمة القرآن، وفهم أسراره كعلوم البلاغة، وكان للقرآن أثره في حفظ لغة العرب من الضياع، وقد هجر كثير من الأمم التي أسلمت كالعراق والشام ومصر لغتهم التي يتكلمون بها من فارسية أو رومية أو قبطية، وأقبلوا على لغة القرآن يدرسونها، ويتعمقون في دراستها لأنها الوسيلة لفهم الإسلام، وكتابه العزيز[٨].

وفي تأييد ذلك كله، يقول الدكتور عيسى ألبي أبو بكر، الشاعر النيجيري المعروف، والمحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة إلورن، واصفا كتاب الله العزيز بأحسن صفات وأروع نعوت على أساس تجربته قائلا:

قف رتل القرآن صاح قليـــــلا ... لله درك تحسن الترتيـــلا[٩]
هل منذ كونك في الحياة وجدتـه ... سئمت قراءته فآت دليـــلا
قول من الرحمن مالك أمرنـــــا ... زجرت مواعظه القرون الأولـى
من داوم التكرار في ترتيلـــــه ... هيهات ذلك أن يكون ذليـــلا
بحر خضم نحن نسبح في معـــا ... نيه ونجم لايروم أفـــــولا
فيه الشفاء لمن تعضـــــل داؤه ... ينجي ويبرئ في الحياة عليـلا
وروى لنا فعل الذين تقدمـــــوا ... وقفوا لديه تحيرا وذهـــولا
في نوره دوما نسير على الهـــدى ... هيهات يوما أن نضل سبيـلا
إني رأيت من الرجال تمسّكـــوا ... متغافلين من الكلام دخيـــلا
ما زادهم ذاك الكلام سوى الردى ... لم يهتدوا بل زادهم تضليـــلا
رتله لا تجعل لنفسك ريبـــــة ... في كل يوم بكرة وأصيـــلا

فكأنه بهذه الأفكاروالاتجاهات يمثل ملايين المسلمين في نيجيريا في الاعتقاد بالقرآن، واللجوء إلى حصنه الرصين في الأفراح والأتراح، والآلام والآمال.وقصارى القول أن مسلمي نيجيريا قد اهتموا

٨- عيسى ألبي أبوبكر، **الرياض**، إلورن، مطبعة ألبي، ط١، ٢٠٠٥م، ص ١٣٥ -١٣٦.

٩- المرجع السابق، ص ٥٠.

بهداه، بل عضّوا عليه بنواجذهم من نواحي شتى أهمها في مدارس الكتاب، ومدارس تحفيظ القرآن، وفي مجال التفسير أيام رمضان، بوجه خاص، والاستعانة به في قضاء الحوائج، وفي ترجمته إلى لغات رئيسة من قبل قادة الفكر الإسلامي النيجيري.

مدارس تعليم القرآن في نيجيريا:

لا تكاد قدم الإسلام تثبت في بلد من البلاد حتى تتأثل ثقافته في أرضها، ولا تلبث تظهر فيها مدرستان عربيتان، أولاهما: المدرسة القرآنية للصغار، وثانيتهما مدرسة العلوم للكبار(١٠)، وتنقسم مدارس تعليم القرآن في نيجيريا إلى قسمين: فالأول هو القسم الذي يتعلم فيه الصبيان قراءة القرآن من غير حفظ. والثاني هو القسم الذي يتعلمون فيه حفظه. أما القسم الأول فإن الولد أو البنت تلتحق بهذه المدرسة عندما يبلغ أو تبلغ من العمر خمس سنوات أو أقل. ويطلق عليها في العرف المحلي "مدرسة اللوح" لأن الصبيان يتعلمون قراءة القرآن فيها وهو مكتوب على هذه الألواح.

فهذا النوع من المدارس لا حصر له في نيجيريا لأنه قلما يجد المرء ولداً أو بنتاً لم يلتحق أو لم تلتحق بها، إذ إن ضمير الأب المسلم لا يرتاح إلا بعد أن يدخل ولده أو بنته فيها.

طريقة التعليم في الكتاتيب:

أما طريقة التعليم فهي أن يكتب المعلم للولد الحروف الهجائية أولا غير مشكولة على اللوح ليتعلمها، ثم يكتب له سورة الفاتحة غيرمشكولة أيضاً ليتعلم النطق بحروفها متصلة، ثم المعوذتين ثم سورة الإخلاص فسورة اللهب، فسورة النصر وهكذا، ثم يعود إلى الأول ليتعلم هذه السور مشكولة ثم يطالب بحفظها. وهذه المرحلة تستغرق عدة شهور ثم يواصل قراءة السور مع الحفظ حتى يصل إلى سورة الأعلى أو سورة النبإ. وهنا تنتهي مطالبته بالحفظ في بعض المجتمعات الإسلامية. فيواصل قراءة السور وهي مكتوبة على ذلك اللوح إلى سورة النبإ.وهكذا حتى يختم القرآن كله قراءة، وفي أثناء ذلك، يتعلم بعض الطلاب الكتابة بنفسه فيريح معلمه من عبء الكتابة على اللوح.

فهذه الطريقة تأخذ الولد أربع سنوات أو أكثر قبل أن يختم القرآن كله. وهنالك سور معينة، وأحزاب يطالب المعلم أبا الطالب بالتصدق له بطعام أو شاة أو خروف إذا وصل إليها. وهذه الصدقة طبعا تذهب إلى المعلم نفسه. ويبدو أن السبب في ذلك هو أن معظم الآباء أو أولياء الأولاد لايعطون هذا

١٠- آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني**، مطبعة مركز التعليم العربي الإسلامي بأجيجى، لاغوس، ط ٢، ١٩٨٠م، ص ٣٤.

المعلم شيئاً في مقابلة تعليمه لأولادهم، لذلك، اخترع المعلمون هذه الطريقة، وأوهموا الآباء أن عدم القيام بهذه الصدقة يجعل الولد غبيا وثقيل الفهم[١١]. لذلك، فإن الأولاد أنفسهم يلحون على آبائهم في إعطاء هذه الصدقة ليفتح الله عليهم ويزيدهم حدة الذكاء. أما إذا ختم الولد القرآن فلا بد أن يقيم والده احتفالا رائعا، يحضره الأقارب والأصدقاء ليباركوا في الولد أو البنت، وليملئوا جيب المعلم أيضاً بالمال[١٢].

وقد اعتاد النيجيريون ومن حولهم من بلاد غرب أفريقيا أنهم لايخلطون في تعليمهم القرآن للولدان بشيء من العلوم الأخرى بل يقتصرون على تعليم القرآن استظهاراً كالبرناويين[١٣] والسنغاليين[١٤] والهوساويين[١٥] أو سرداً كسائر اليرباويين[١٦] الذين يكتفون بحفظ بعض السور القصار لتأدية الصلاة المفروضة[١٧].

هذه هي الطريقة التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر الميلادي بل لا تزال موجودة إلى يومنا هذا. وهي بلاشك، طريقة بدائية يتكبد المعلم والولد على السواء تعبا كبيراً؛ إذ يعتبر كل ولد مرحلة على حدة، ويتطلب اهتماما خاصا من معلمه.

مؤهلات المعلم في هذه المدارس:

إن مؤهلات المعلم في هذه المدارس تبنى أساسا على شرطين، أولهما: أن يكون المعلم قادراً على قراءة القرآن قراءة صحيحة. ثانيهما: أن يحفظ على الأقل حزبا واحدا من سورة الأعلى إلى الناس فمتى ما تحصل على هذين الشرطين، فقد أصبح كفؤا للتدريس في هذه المعاهد.

مدارس تحفيظ القرآن:

تقع معظم هذه المدارس في برنو وما يجاورها، وهي موجودة في المدن أيضاً، وعددها قليل بالنسبة إلى الكتاتيب، ولا يلتحق بها الولد في الغالب إلا إذا أتم مرحلة الكتاتيب.

١١- علي أبوبكر، **الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ -١٩٦٠م**، ص ١٥٠ - ١٥٢.

١٢- المرجع نفسه، ص ١٥٢.

١٣- هي مملكة كبيرة وقد دخلها الإسلام في عهد قديم بل في القرن الأول من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٤- دولة كبيرة من دول غرب أفريقيا.

١٥- قوم في شمال نيجيريا، يشكل أغلبيتهم المسلمين في هذه الديار (نيجيريا).

١٦- وهم قبيلة في جنوب نيجيريا.

١٧- آدم عبد الله الإلوري، **نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي**، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٩٨٠م، ص ٣٤.

طريقة التعليم فيها:

إن طريقة الحفظ في هذه المدارس هي أن يكتب التلميذ الثمن الأول من سورة البقرة على لوحة ثم يأتي به إلى المقرئ الذي يقرئه إياه بدقة مشيراً إلى جميع أماكن المد والإدغام والوصل والوقف ومخارج الحروف وما إلى ذلك، ثم ينصرف التلميذ لحفظ هذا الثمن حتى إذا أتقن حفظه، عاد إلى المقرئ وأسمعه إياه، فإذا اقتنع به أمره بالمضي إلى الثمن الذي يليه، وهكذا حتى يحفظ القرآن كله.

وتختلف مدة الحفظ حسب اختلاف قوة ذاكرة التلميذ، ولكنها في الغالب تتراوح بين ثلاث سنوات وخمس، وربما زادت على ذلك، والحق أن حفظهم للقرآن حفظ متقن للغاية إلا أنه ينقصهم جهلهم المطبق بمعناه، ولكن هناك عدد لا يستهان به يجمعون بين الحفظ والمعنى[١٨] ثم يخلع عليه ألقاب، ومن الألقاب المشهورة عندهم "الحافظ" أو "مى ستين"[١٩] وفي بعض المجتمعات يطلق "قوني" بمعنى قوي في علوم القرآن وعلومه[٢٠].

إن لمدارس تحفيظ القرآن في نيجيريا أثراً إيجابياً، وغبطة يا لها من غبطة لدى المسلمين الغيورين على دينهم. وقد ازدادت هذه المدارس بازدياد التوعية الإسلامية الناجمة من الناشئين من جهة الشبان والشابات ولا سيما بعد إعلان بعض الولايات الشمالية بتطبيق الشريعة الإسلامية في ولاياتهم ومحافظاتهم، فتكاثر عددها في عواصم البلاد التي كثر فيها المسلمون حبا في القرآن، وتعظيما لجلاله، وترغيبا في الفهم بمضمونه.

ويبلغ عدد الحفاظ والحافظات إلى خمسمائة حافظ على وجه التقدير، ومن الأهمية بمكان أن التسهيلات الحديثة من الشرائط المسجلة المنتشرة في العالم بأسره بأصوات مختلفة للقراء المشهورين في العالم العربي قد ذللت بعض الصعوبات التي يواجهها الشعب النيجيري بالقياس إلى القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

١٨- علي أبوبكر، **الثقافة العربية في نيجيريا**، ص ١٥٤.

١٩- "مى ستين" كلمة هوساوية تعني صاحب الستين بمعنى: حافظ الستين حزبا.

٢٠- وهذا اللقب يطلق على الذين أجادوا حفظ القرآن تلاوة وحفظا وترتيلا عن ظهر قلب، ويعقد لذلك امتحان عظيم أمام جمهرة من كبار الحفاظ بما فيهم أستاذه، وعند اجتيازه الامتحان يخلع عليه هذا اللقب، ويقام لهذه المناسبة احتفال بهيج يحضره خلق كثير، وجمع غفير من الفقهاء والحفاظ وعلية القوم، ويكون يوما مشهوداً تذبح فيه الذبائح تكريما لصاحبه. وهذا اللقب يشبه درجة الإجازة العالية في الأزهر الشريف. وحاصل هذا اللقب تكون له مكانة رفيعة لدى الخاصة والعامة، ويلقى الاحترام والتقدير من الحكام والرعية، ويزوجه علية القوم بناتهم، ويدفعون مهورهن من أموالهم. وهم يقصدون من ذلك نيل رضاه لإيمانهم بأن حافظ القرآن والعالم يشفع يوم القيامة فيشفع لمن هم على صلة رحم به، لذلك يبادرون بوصل أرحامهم به، عسى أن يدخلوا الجنة بشفاعته يوم القيامة.

فأصبح الطالب أو الطالبة يقضي بضع سنين على تدريبه وتمرينه إلى أن يتخرج حافظا ولايزال في العقد الثاني من عمره. وقد رأيت أنا ـ كاتب هذه المقالة ـ طالبا ذكيا من هذه الولاية ـ ولاية كوغي ـ قضى تسعة أشهر في هذا المضمار، وكان حفظه حفظا جيدا. وقد أحسنت ولاية كنو صنعا في هذه الآونة الأخيرة أن تساوت أصحاب الليسانس بحفظة القرآن سواء بسواء في الرواتب الشهرية، وبذلك ازداد الإقبال عليه خصوصا في شمال نيجيريا. وأما جنوبها فقد قلت الدوافع والمغريات من قبل الحكومات والمنظمات والأفراد، فقل الحفاظ بالمقارنة إلى كل من ولايات برنو، وكنو، وصكتو، وكدونا، ونيجر، وأداماوا إلخ. أضف إلى ذلك أن الأستاذ لايعلن بهذه المزية لطالب حفظ القرآن إلا إذا اجتاز امتحانا عسيرا، يدور حول أماكن المد، والإدغام، والوصل، والوقف، ومخارج الحروف غالبا أمام زملائه، ومتقدميه في الحفظ، ولفيف من العلماء المفوهين، والمتخصصين في القرآن وعلومه.

تفسير القرآن الكريم:

تعتبر أيام رمضان في المجتمع النيجيري وقتا خصيبا للمسلمين كافة، لأن المسلمين يتدفقون إلى حلقات الوعظ التي تتناسب وأذواقهم الفردية، والعلماء الذين يتصدرون المجالس أكثرهم علماء أكفاء، وهم بدورهم يستعينون بالتفاسير القرآنية المختلفة في شرح آياتها وإن كانوا يميلون إلى **تفسير الجلالين** لقدمه بينهم، إضافة إلى ذلك، فإنهم يتلقون معانيه باللغات المحلية. وإن استطاع الواعظ أن يأخذ خمسة أحزاب مثلا في سنة، فإنه يتقدم من أين وقف في السنوات المقبلة، وأكثر المساجد في المدن والأرياف، لها إمامها وهو الذي يتولى هذه المسئولية إن رأت الجماعة فيه الكفاءة.

فنما بذلك العشق بالقرآن وأهله عند مسلمي نيجيريا، صغيرا أم كبيرا، أميرا كان أم مأمورا، رجالا ونساء. وقد تعود كثير منهم أن يتلو القرآن الكريم بنفسه سردا طوال أيام رمضان زهاء خمس مرات تقل وتكثر حسب ظروفه الشخصية، فتراه أحيانا يتلوه وهو في فناء منزله أو في معمله بل في أيّ مكان تأتى له. والغاية القصوى من ذلك أن ثواب رمضان لم يفته.

والمفسر يفسر القرآن بلسان قومه، إن هو هوسويا تراه يفسره بلغة قومه، وإذا كان يورباويا فإنه يكتفي بلغته إلا في بعض الأماكن التي يستعمل المفسر اللغة الإنجليزية (اللغة الرسمية للبلاد) وذلك إذا كان المستمعون ذوي ألسن شتى كالجامعات، والمعاهد العليا والمجلس العام، فإن المفسر في هذه الحالات يفضل اللغة الإنجليزية على لغته وإلا فما بلغ رسالته لأن في الجامعات قبائل تنتمي كل منها إلى لغة معينة. وفي نيجيريا على سبيل المثال، ما يزيد على مائة لغة.

ومن الأهمية بمكان أن العلماء التقليديين يرون القرآن الكريم آخر كتاب يأخذه منهم ولعل السبب في ذلك يرجع إلى إتقانه قبل مغادرة معهده، والتأدب بآدابه، والحفاظ على ديباجه وجوهره.وقد أجمل هذه الأهداف شرف الدين محمد البوصيري في لاميته قائلا:

آيات حق من الرحمان محدثـــة قديمة صفة الموصوف بالقـدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنـــا عن المعاد وعن عاد وعـن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجـــزة من النبيين إذ جاءت ولم تـدم
محكمات فما تبقين من شبـــه لذي شقاق وما تبغين من حكـــم
ما حوربت قط إلا عاد من حـــرب أعدى الأعادي إليها ملقي الســلم
ردت بلاغتها دعوى معارضـها رد الغيور يد الجاني عن الحـــرم
لها معان كموج البحر في مـــدد وفوق جوهره في الحسن والقيـــم
فما تعد ولا تحصى عجائبهـــا ولا تسام على الإكثار بالســأم
قرت لها عين قارئها فقلت لـــه لقد ظفرت بحبل الله فاعتصـــم
إن تتلها خيفة من حر نار لظـــى أطفأت حر لظى من ورده الشبـــم

واجب المسلمين في تعليم القرآن والدين:

إن مما يدعو إلى الدهشة والاستغراب في الوقت الراهن أن يعتمد المسلمون في بعض البلاد على الحكومة اللادينية أو الحكومة المسيحية في نشر تعليم القرآن، وإصلاح مناهج الكتاتيب. فإن الحكومة النيجيرية مثلا هي التي أودت بها، أو بعبارة أخرى قللت من شأنها بطريقة غير مباشرة.

كيف أشكو إلى طبيبي مابـــي والذي أصابني من طبيبـــي

إن من واجب الجمعيات والمنظمات الإسلامية في كل بلد أن يقوموا بإنشاء مدارس خاصة لتعليم أبنائهم القرآن والدين الإسلامي، على نمط الكتاتيب بأسلوب يتفق مع روح العصر الحديث، وهو حق يملكه كل مسلم في كل وطن إسلامي وغير إسلامي. فإن التعليم المدني الحديث، يطغى كل يوم في نيجيريا على التعليم الديني، ويحصره في أضيق الدوائر(٢١).

٢١- آدم عبد الله الإلوري، **نظام التعليم العربي وتاريخه**، ص ٢٨.

الترجمة وأثرها في الإسلام:

الترجمة هي نقل الألفاظ والعبارات والجمل من لغة إلى لغة أخرى بحيث لا تفقد اللغة الناقلة مدلولاتها عند اللغة المنقول إليها[٢٢] ويرجع تاريخ الترجمة إلى المعاهدات وتبادل الرسائل بين الملوك والرؤساء كالتي عقدت بين رمسيس الثاني، وملك الحيثيين وكرسالة النبي إلى ملك الروم والنجاشي والفرس... ويعتبر عمر بن الخطاب المعرب الأول حيث أمر بتعريب الدواوين نقلا عن الفرس، فأسس ديوان الجند لتسجيل رواتبهم، وديوان الرسائل. وعندما هدأت ثورة الفتوحات، بدأ العرب يستكملون تأسيس حضارتهم وكان لا بد لهم من الآخذ من التراث الإنساني للأمم التي احتكوا واختلطوا بها مثل الفرس والرومان واليونان والهنود فنقلوا إلى العربية علوم اليونان مثل كتب أقليدس وأرشميدس وأفلاطون في الفلسفة[٢٣].

وقد نشطت الترجمة في العصر الإسلامي نشاطا عظيما، وذلك بسبب الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأمم ذات الحضارة القديمة. وبسبب حب الخلفاء للعلم، ورغبتهم فيه حتى كان المأمون يعطي على الكتاب المترجم كما كان ملوك الروم يرسلون إليهم بعض هذه الكتب[٢٤]. ومن أشهر المشجعين على حركة الترجمة الخليفة أبوجعفر المنصور، وقد شجع هذا الخليفة في اللغة العربية كما شجع أيضاً النقل من اللغات الأخرى فترجم في عهده كثير من كتب الطب والفلسفة والرياضية والنجوم والكيمياء[٢٥] وبلغت الترجمة أوج عظمتها في عهد الخليفة المأمون، فقد كان عالما محبا للعلماء فتقرب الناس إليه بالعلم، وقد أنشأ في بغداد معهداً فيه خزانة كتب ودارا للترجمة يتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة.

تطور الترجمة في نيجيريا:

لم تكن الترجمة حديثة العهد على الشعب النيجيري وذلك لوجود الاتصال المباشر بالشعوب الأخرى الناطقة بغير اللغات النيجيرية. وكان أول الاتصال الخارجي النيجيري بالعرب عن طريق

٢٢- رحمة محمد شيخ، "أهمية الترجمة في الدراسات العربية"، مقالة نشرتها مجلة **اللسان** لمدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنيجيريا، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، ص ١٥٥.

٢٣- المرجع نفسه، ص ١٥٦.

٢٤- علي محمد حسن العماري وغيره، **الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، طبعة ١٩٩٠م، ص ٦١.

٢٥- المرجع نفسه، ص ٦١.

التجارة أولا ثم جاء بعدها الأمم الأوروبية مثل البرتغالية ثم البريطانية. وفي هذا الموقف، لا يكون التفاهم إلا من خلال الترجمة[٢٦]. وقد كانت الترجمة مقصورة على الشؤون الدينية والاجتماعية. وقد ازدهرت ازدهاراً عجيبا في أيام الشيخ عثمان بن فودي، المجاهد الأكبر، ومؤسس الدولة الإسلامية بنيجيريا ١٨٠٤ - ١٩٠٣م حيث كان الشيخ وأنصاره وتلاميذه وأتباعه يترجمون النصوص الأدبية من لغة إلى أخرى، وتدور الترجمة بين اللغة الهوساوية والفولانية والعربية. ولما استقلت نيجيريا عام ١٩٦٠م من الاستعمار البريطاني ازدهرت الترجمة وذلك لوجود العوامل منها:

١- تعليم الدين: يتعلم المسلم النيجيري كتبا إسلامية فقهية[٢٧] أولاً ثم كتبا عربية لغوية ثانيا[٢٨] بعد أن قد اجتاز مرحلة الكتاتيب، وتحفيظ القرآن فإن طريقة التعليم والتعلم فيها هي طريقة الترجمة إلى اللغات المحلية. ونوع الترجمة فيها هي الترجمة المباشرة الدقيقة بمعنى أن العلماء يعطون كل كلمة عربية ما يناسبها من اللغات المحلية، فقد تعلم معظم العلماء في هذه الديار على هذه الطريقة، وما زالت موجودة إلى اليوم.

٢- خطبة الجمعة: بينما كانت المساجد الجامعة في المدن والقرى النيجيرية تقدم خطب الجمع باللغة العربية الفصحى على الأسلوب التقليدي القديم فقد كانت المساجد الأخرى في المعاهد والجامعات تترجم خطبتها إلى اللغات المحلية أو الإنجليزية[٢٩].

٣- وجود المترجمين: قد وجد بعض أبناء نيجيريا فرصة التعليم في الجامعات النيجيرية، والعالم العربي والإسلامي، وتعلموا من خلال دراستهم اللغة العربية وملامح الترجمة مما أهلتهم

٢٦- عبد الرزاق محمد كاتبي، "تطور الترجمة وأثرها في اللغة العربية وآدابها في نيجيريا"، مقالة نشرتها مجلة **اللسان** لمدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنيجيريا، العدد الثاني، ٢٠٠٤م، ص ٣١.

٢٧- ككتاب العشماوي والأخضري، ومقدمة **العزية**، و**رسالة** ابن أبي زيد القيرواني، و**إرشاد السالك**، ودريدي، **ومختصر خليل** على المذهب المالكي، إضافة إلى كتب الحديث والتوحيد.

٢٨- عبارة عن الكتب التي تمكن الطالب في العلوم العربية كأيا طالب الإعراب، للشيخ بن فودي، و**الأجرومية**، و**ملحة الإعراب**، و**قطر الندى**، و**شذور الذهب**، و**ألفية ابن مالك**، والكتب اللغوية كالمقصورة الدريدية، و**المقامات الحريرية** وغيرهما من كتب اللغة.

٢٩- وعلى سبيل المثال، فإن جامعة إلورن، وجامعة ولاية لاغوس، وجامعة إبادن، كانت تلقي خطب الجمع باللغة الإنجليزية أولا ثم باللغة المحلية ثانيا.

مباشرة الترجمة بأنواعها، لأنهم ـ بطبيعة الحال ـ يجيدون أكثر من ثلاث لغات، ورأينا منهم من تخصص في علم الترجمة(٣٠).

٤- قدوم الضيوف الأجانب إلى البلاد: في بعض الأحيان، يقدم الضيوف من الدول العربية أو الأوربية إلى نيجيريا لأغراض منها سياسية أو دينية أو تجارية وما إلى ذلك فتلزم على المثقفين منهم ترجمة كلامهم إلى لغة البلاد خصوصا عند زيارتهم الملوك والأمراء وعلية القوم.

الكتابة الأعجمية في نيجيريا قبل الاستعمار:

كان النيجيريون بأصالتهم أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ، ولم تنتشر الكتابة قبل هجرة المهاجرين منهم إلى نيجيريا غير أن بعض طبقاتهم قد استفادوا من المصريين أو من يشابههم الكتابة الهيروغليفية لأنها منتشرة في نيجيريا إلى عهد قريب، ولا تزال آثارها باقية في القرى والأرياف على أبواب ملوكهم، وعلى أعمدة جدران منازلهم(٣١) وكانت مراسلاتهم برموز يعرفون فكوكها في شتى الأغراض في السلم والحرب، والقبول والرفض، والتبشير والإنذار(٣٢).

ودخلت الكتابة العربية إلى نيجيريا بدخول الإسلام، وكان علماء هوسا ويوربا يكتبون بالأحرف العربية لغتهم ويسمونها "الكتابة الأعجمية" ولقد كتبوا بها عدة كتب علمية أدبية دينية. وفي أواسط القرن الماضي، اضطر المبشرون إلى ترجمة الإنجيل إلى لغة يوربا، فدفعهم التعصب اللدود إلى العدول عن الأحرف العربية حتى لا يكون شرفا للإسلام، فعينوا ثلاثة من أساقفتهم، وعلى رأسهم سمويل أجاي كراوثر، وكلفوهم اختراع الأحرف اليوربوية من الكتابة اللاتينية، وأخرجوا بها ترجمة الإنجيل، ونشروها في المكاتب والمدارس، فصارت اللغة اليوربوية تكتب بها اليوم وهي خمسة وعشرون حرفا(٣٣).

ثم هاجم التبشير الاستعماري الكتابة الهوسوية التي كانت تكتب بالعربية فغيرها إلى الحروف اللاتينية أيضاً، فصارت تكتب بها حتى الآن.

من أسباب تأخير الترجمة في نيجيريا:

تأخرت حركة الترجمة الكتابية في نيجيريا لقلة حاجة المسلمين إليها، فالترجمة الشفهية تقوم مقام الكتابة. وقد انتهز علماء نيجيريا فرص التجمعات الاجتماعية والدينية لنشر الدعوة والوعظ والإرشاد،

٣٠- عبد الرزاق محمد كاتبي، "تطور الترجمة وأثرها في اللغة العربية وآدابها في نيجيريا"، ص ٣٣.

٣١- آدم عبد الله الإلوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، ص ١٤١- ١٤٢.

٣٢- المرجع نفسه، ص ١٤٢.

٣٣- المرجع نفسه، ص ١٤٣.

فالعلماء كانوا ولايزالون يجوبون البلاد مع تلاميذهم لدعوة الناس إلى الإسلام، وإذا ما اعتنق عدد كبير منهم الإسلام فقد كفاهم شرفا وغاية في خدمة الإسلام. ولعل أبرز عوامل التأخير في الترجمة يكمن في النقطتين الآتيتين:

١- كان قدامى مسلمي نيجيريا ينفرون من قراءة ما يكتب بالحروف اللاتنية التي تمثل الثقافة النصرانية المسيحية عندهم.

٢- إن كانت هناك حاجة للكتابة، فإنهم يفضلون استعمال الحروف العربية "أنجمي" بدلها، ولا تزال كتاباتهم للرسائل والعقاقير المحلية بالحروف العربية باقية إلى اليوم[٣٤].

ترجمة معاني القرآن الكريم في نيجيريا:

إن الاهتمام بكتاب الله موضع عناية كل مسلم يعد ذلك عملا مشكورا، وسعيا مأجورا، فالسعي في سبيل فهم كتاب الله غاية كل مسلم صادق سواء عن طريق شفوي أو تحريري، فترجمة معاني القرآن الكريم قد ظفرت بالقدح المعلى لأنها مضمار سار عليه كل مما هب ودب حتى أصبح لغير المسلمين فيه نصيب.

آراء العلماء في ترجمة معاني القرآن بين التأييد والإنكار:

للترجمة بالعموم أهمية كبيرة في جميع العصور واللغات. وقد بذل المترجمون مجهودات جبارة نحو ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات متعددة لا تكاد تحصى ولا تعد. وقد وجدنا في لغة واحدة ترجمات كثيرة مختلفة في القرآن الكريم. والقائمون بهذه المهام أجناس وقبائل، وأديان شتى، منهم من يحمل للإسلام عداوة ظاهرة أمثال بعض المستشرقين[٣٥] والهدف الأول والأخير منه تحريف كتاب الله تعالى عند بعضهم، وتحويل المسلمين عن دينهم بالتشويه والتمويه، ومنهم من يحمل حبا له، ولكنه عاجز من ناحية القدرة اللغوية، فيخطأ في تعبيراته نتيجة ضعف مستواه اللغوي، سواء في المترجم منها أم في المترجم إليها، فوقوع الأغلاط في هذه الترجمات ينعكس انعكاسا سلبيا على مجد الإسلام، فهو من الظواهر السيئة التي تزلزل الوحدة الدينية واللغوية والاجتماعية للأمة الإسلامية.

٣٤- عبد الغني أكوريدى عبد الحميد، "ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا: تاريخ وتطور"، مقالة نشرها قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ولاية كوغي، العدد الثالث، ٢٠٠٦م، ص ١٢٥.

٣٥- إسماعيل حماد الجوهري ، **الصحاح**، حققه وضبطه: شهاب الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٣٩٩.

ولعل هذه النقاط هي المانعة من جواز ترجمة القرآن الكريم إلى أية لغة:

١- إن الوفاء بجميع المعاني وتضمين كل المقاصد في الآيات أمر لا يمكن الوصول إليه عن طريق الترجمة، علما بأن اللغة العربية في طبيعتها تدل ألفاظها على معانٍ أصلية، ومعانٍ ثانوية، ومن أبرز معالم القرآن أنه يغني في الكلمة عن العبارة، وفي العبارة عن الجمل، ولم تكن مسألة اللفظ وحدها مميزة بما ذكرت بل الحروف المستعملة في اللغة العربية لها أثرها في تعبير المعاني أو الزيادة عليها. وهذا ما قد لا نجده في بعض اللغات، فلئن كان المعنى الأصلي ممكنا في الترجمة فإن المعاني الثانوية لا يمكن الوصول إليها عن طريق الترجمة لأنها سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم(٣٦).

٢- إن الترجمة تفضي إلى ادعاء مثل القرآن مع أن الله تعالى قد تحدى به العرب أن أتوا بسورة من مثله بقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣٧).

٣- هذه الترجمات تصرف الناس عن القرآن نفسه، وتشغلهم عن قراءته وتدبره؛ إذ إن قراءته بالعربية أمر تعبّدي.

٤- تعلم اللغة العربية واجب لفهم الدين، فإن قيام هذه الترجمات تبعد الناس عن اللغة العربية(٣٨).

وقد ذهب كثير من العلماء إلى جواز ترجمة معاني القرآن الكريم، لا ترجمة القرآن الكريم نفسه لعدم جواز أن تحل الترجمة محل النص الموحى به من الله في أمور العبادة كما هو الشأن عند غير المسلمين. والسبب يكمن في أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى، فهو كلامه عز وجل، حرفا وصوتا، إذ قال الله في كتابه العزيز: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٣٩).

٣٦- سعيد إسماعيل صيني، **ترجمة معاني القرآن الكريم ومقترحات لتحسينها**، مطبعة النرجس التجارية، الرياض، ٢٠٠٢م، ص١٨- ٢٢.

٣٧- سورة البقرة، الآية: ٢٣.

٣٨- عز الدين محمد نجيب، **أسس الترجمة**، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص ٧.

٣٩- سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

أما الذين يرون ترجمة معاني القرآن الكريم فمن حججهم:

١- إن نزول القرآن لكافة الناس لا يتحقق إلا عن طريق الترجمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾(٤٠) وقال أيضاً: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾(٤١)، وكيف تتحقق عالمية القرآن إن لم تترجم؟

٢- إن القرآن عربي، وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغه للناس كافة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾(٤٢) فالآراء والأدلة على جواز الترجمة قوية ومنطقية، فالعقول السليمة، والبصائر المدركة تقر أن التبليغ لا يتم إلا بفقه القرآن، وعلى هذا، وضع العلماء شروطا تراعى عند ترجمة معاني القرآن الكريم، منها:

١- النظر وجوبا إلى الخصائص التي توجد في اللغة العربية، ولا تتحملها اللغة التي تترجم معاني القرآن إليها، مثل المعاني الثانوية التي تبحث عنها علوم البلاغة.

٢- أن يكون المترجم عالما باللغتين، المترجم منها، والمترجم إليها، خبيرا بأسرارهما.

٣- أن يكتب القرآن أولا بحروف عربية ثم يأتي بعده بترجمته حتى لا يتوهم متوهم أن هذه الترجمة بعيداً عن الميل إلى عقيدة زائفة تخالف ما جاء به القرآن(٤٣).

ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا:

إن لغة يوربا من لغات العالم التي استفادت من اللغة العربية عن طريق الإسلام والتجارة وغيرهما من العوامل(٤٤) وتطلق كلمة يوربا على المتكلمين باللغة اليوربوية في غرب أفريقيا. تقع بلادهم جنوب نهر نيجر، وتمتد من حدود هذا النهر شرقا وشمالا حتى تكتسح الأراضي المنحدرة إلى المحيط الأطلسي جنوبا حتى بلاد دهومي ببنين غربا(٤٥).

٤٠- سورة النساء، الآية: ١٧٤.

٤١- سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

٤٢- سورة المائدة، الآية: ٦٧.

٤٣- مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٧م، ص ٣١٢- ٣١٤.

٤٤- عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم، "آثار اللغة العربية في شعر يوربا"، مقالة نشرتها مجلة **اللسان** لمدرسي اللغة العربية في كليات التربية والمعاهد المماثلة بنيجيريا، العدد الثالث، ٢٠٠٥م، ص ١٦٢.

٤٥- آدم عبد الله الإلوري، **نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا**، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ص ١٩.

فيوربا هم السكان الأصليون في الولايات المعروفة اليوم باويو، واوشن، وأندو، وأيكيتي، واوغن، ولاغوس، وجزء من ولايتى كوارا وكوغي في نيجيريا. ويبلغ عدد المتكلمين بها في أنحاء العالم اليوم ستة عشر مليونا(٤٦). ويتفرع لسانهم إلى عدة لهجات تبلغ حوالى عشر لهجات منها لهجة اويو، ولهجة إيفى، ولهجة اوندو، ولهجة إيجيشا، ولهجة إيومنا، ولهجة كابا، ولهجة إيجيبو وغيرها، ولكن لهجة اويو هي الغالبة على الجميع كما غلب لسان قريش على جميع لهجات العرب(٤٧).

ومن طبيعتهم الذكاء والنجدة والمحافظة على تقاليد الأسلاف والأجداد، وهم أسبق قبائل نيجيريا إلى التعليم الإنجليزي. لهذا، كثر فيهم الدكاترة والمحامون والمهندسون والسياسيون(٤٨). ومن أمثالهم السائرة قولهم: ATI KEKERE NI IMALE TI N KO OMO RE LASIRI بمعنى منذ الصغر يلقن المسلم ابنه الكلام السري. علاقة المثل بالإسلام استعمال كلمة IMALE إمالى دلالة على المسلم إذ عرف قبيلة يوربا الإسلام عن طريق الماليين، ويرمز الكلام السري إلى القراءة السرية للآيات القرآنية أو بعض الأدعية إما في الصلاة أو خارجها. ويضرب هذا المثل على أهمية تعويد الناس بشيء منذ المهد فهو أقرب إلى المثل العربي "التعليم في الصغر كالنقش على الحجر"(٤٩).

IBITI ANLO LAO KOJU SI BI OKU IMALE على المرء أن يتجه صوب هدفه مثل الميت المسلم، مثل يضرب في توجيه المرء إلى الاهتمام بشأن يخصه(٥٠).

OMO RE KO NI JE TIRA،ALUFA TONI KI IYAN MU الشيخ الذي يهدد بقدوم القحط فإن ابنه لن يتغذى بالكتب. علاقة المثل بالإسلام استعمال كلمة ALUFA وكلمة ألفا دلالة على العالم الإسلامي أو إنسان كألف في القوة ومساعدة الآخرين. ويضرب هذا المثل لمن يتوعد ويهدد بشراً وهو نفسه لا ينجو منه إذا نزل(٥١).

٤٦- عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٦٣.

٤٧- المرجع نفسه، ص ١٦٣.

٤٨- آدم عبد الله الإلوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، ص ١٢٧.

٤٩- مشهود محمود محمد جمبا، "الإسلام والمسلمون في المثل اليوربوي"، مقالة مقدمه جمبا في المؤتمر الوطني الحادي والعشرين لجمعية معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بنيجيريا المنعقد في جامعة ميدوغري بين ٢٨ أغسطس – و ١ سبتمبر، ٢٠٠٢م، ص ٦.

٥٠- المرجع نفسه، ص ٧.

٥١- المرجع نفسه، ص ٦.

إن من الخدمات الإنسانية التي تقدمها زمرة أكياس مسلمي وغير مسلمي نيجيريا هي ترجمة القرآن الكريم إلى لغة يوربا التي تحتل الدرجة الثالثة بين لغات نيجيريا كثرة وانتشارا[٥٢] ويبلغ عدد قبائل نيجيريا نحو مائتي قبيلة، لكل واحدة منها لغتها الخاصة، تجهلها جارتها، ولاتفهمها إلا بالتعلم[٥٣].

ويبلغ عدد ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة اليوربوية وحدها اثنتي عشرة ترجمة من المسلمين والمسيحيين، والأكاديميين وغيرهم وهي على النحو التالي:

١- وقد قام قسيس نصراني اسمه م. س. كول عام ١٩٢٤م بترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا، نشرتها ووزعتها الجمعية التنصيرية الكنيسية بمدينة لاغوس[٥٤].

٢- وقد قام أيضاً أ. كى. أكنلادى بترجمة القرآن إلى لغة يوربا، وطبعته مطبعة ككستن بغرب أفريقيا بإبادن[٥٥] وتحتاج الترجمة إلى مناقشات من الناحية العقدية، والشرعية واللغوية والفنية[٥٦].

٣- وقد جاءت ترجمة أخرى للقرآن الكريم على يد الحاج أسامة إمام كوتا[٥٧] طبعت بمطبعة محلية بمدينة إيوو إلا أنه لم يذكر فيها تاريخ الطبع[٥٨] تتألف نسخة الترجمة من ٤٥٢ صفحة. ويؤخذ عليه بالقصور في الدقة، وفيها مداخلات معاني بعض الآيات وشرحها كما يؤخذ عليه عدم النصوص القرآنية بجانب الترجمة.

٤- وقد قام مجلس مسلمي نيجيريا ببلاد يوربا، وهذا المجلس يتكون من ثلاث لجان، واللجنة الأولى منها تولت ترجمة القرآن، وأخرى تكلف مطابقة تجارب الطباعة لنصوص القرآن، ولجنة ثالثة تتكون من كبار علماء بلاد يوربا، وعمليتها التصحيح والمراجعة والتنقيح والتدقيق،

٥٢- آدم عبد الله الإلوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، ص ١٤٤.

٥٣- المرجع نفسه، ص ١٢٥.

٥٤- لم نتمكن من الوقوف على نسخة منها، ولكن البراهين تقر أن هذا القس قد ترجم معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا.

٥٥- هي مدينة كبيرة بل هي أكبر بلادغرب أفريقيا، وأكثرها سكّانا، وفيها أولى جامعة نيجيرية تأسست سنة ١٩٤٨م، وهي حينئذ تابعة وربيبة جامعة لندن في نيجيريا. وفي المدينة فقهاء تابعون ومتخصصون على الفقه المالكي.

٥٦- عبد الغني أكوريدى عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٢٦.

٥٧- هي قرية قريبة من إيوو بولاية أوشن. ومؤلف هذه الترجمة ولد عام ١٩١٠م، وتلقى مبادئ العلوم الإسلامية بالمدرسة الدهليزية داخل بلده وخارجه، ثم تعلم الخياطة التي اتخذها حرفة له فأصبح خياطا ومعلما وواعظا.

٥٨- عبد الغني أكوريدى عبد الحميد، "ترجمة معاني القرآن الكريم"، ص ١٢٧.

وتشمل عضويتها كلا من فضيلة الشيخ محمد كمال الدين الأدبي[٥٩] وفضيلة الشيخ آدم عبد الله الإلوري[٦٠] طبعت هذه الترجمة، ونشرت عام ١٩٧٣م بدار العربية ببيروت، والطبعة الثانية في عام ١٩٧٧م وتلتها طبعات أخرى وكلها بإشراف مباشر من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. وتقع هذه الترجمة في ٥٦٨ صفحة من الحجم الكبير.

ومن محاسن هذا العمل أنه جماعي، أضف إلى ذلك أن العمل استغرق إعداده نحو أحد عشر عاما ثم خضع للمراجعة والتصحيح والتدقيق من قبل اللجنة ثم وضعت الترجمة بجانب النصوص القرآنية. تلك هي الميزات التي تميزت بها هذه النسخة من غيرها.

٥- ومن الذين ترجموا معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا هو الحاج عبد القادر أدى بلو من أسرة اولوشن بمدينة إبادن. وكان هذا الشيخ واعظا مشهورا بمناظرة النصارى، وبيان بطلان عقيدتهم ببلاد يوربا. وقد أسلم على يده خلق كثير[٦١] طبعت هذه النسخة بمطبعة ادراليرى بإبادن عام ١٩٦٤م. والترجمة مجلدان، فالمجلد الأول، بدأ من سورة الفاتحة إلى الكهف بينما تناول المجلد الثاني بقية السور. ومن قصور هذه الترجمة عدم مراجعتها بدقة قبل طبعها مما أدى إلى كثرة الأخطاء المطبعية في النصوص القرآنية. ومن محاسنها وضع النصوص القرآنية بجانب الترجمة.

٦- ومن الذين خاضوا في غمار الترجمة إلى لغة يوربا هي الفرقة القاديانية المعروفة في نيجيريا بالجماعة الأحمدية. وقد قام الحاج شنباولو بالطبعة الأولى عام ١٩٣٢م، وتلتها الطبعة الثانية، وبعد نفاد الطبعتين، صدرت الطبعة الثالثة، عام ١٩٨١م. ومن محاسن هذه الترجمة وضع النصوص القرآنية بجانب معانيها اليورباوية ثم اختيار الكلمات السهلة الواضحة، ومما يؤخذ

٥٩- هو شيخ كبير في نيجيريا عامة، وفي بلاد يوربا خاصة. ومن بين أوسمة فخرية نالها في حياته بداخل نيجيريا وخارجها وسام كرّمه به حسني مبارك بجمهورية مصر العربية، عام ١٩٨٧م على خدمة الإسلام والمسلمين، والدكتوراه الفخرية في الأدب العربي من جامعة إلورن، وكذلك منحته جمعية معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بنيجيريا، الزمالة في الدراسات الإسلامية في نيجيريا، عام ٢٠٠٢م.

٦٠- هو شيخ كبير، غني عن التعريف في غرب أفريقيا خصوصاً في مجال الدعوة والتأليف والتدريس. ومؤلفاته تزيد على خمسين كتابا.

٦١- عبد الغني أكوريدى عبد الحميد، "ترجمة معاني القرآن الكريم"، ص ١٢٨.

عليها أنهم تأثروا بأسلوب النصارى في ترجمة كلمة السورة بـ: ORI[٦٢]، والآية بـ: ESE[٦٣]، اقتداء بالمسيحيين. وأعجب من هذا أنهم يعدون البسملة آية في كل سورة، فعدد الآيات تزيد بواحد في كل سورة[٦٤].

وقد مالت هذه الفرقة الأحمدية إلى تحريف بعض النصوص القرآنية كي توافق هواهم، وتشبع معتقداتهم، ويظهر ذلك واضحا في ترجمتهم قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[٦٥] حيث ترجموا لفظ "خاتم النبيين" في الآية بمعنى "ختم النبيين" أو "طابع النبيين" لابمعنى آخر النبيين بخلاف المترجمين الآخرين، فذلك طبعا يدل بالصراحة على عدم انقطاع الوحي، واختتام النبوة والرسالة بالنبي محمد بن عبد الله. فقد دسو الدسائس في القرآن ليبرروا اعتقادهم بنبوة مؤسس نحلتهم غلام أحمد القادياني، مخالفين ماتدل عليه النصوص، واتفق عليه المفسرون، وأجمع عليه المسلمون على أن لا نبي بعده[٦٦].

٧- وقد قام أيضاً البروفيسور ياسر أنجولا عبد القادر، المتخصص في الدراسات الإسلامية بقسم الأديان بجامعة إلورن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة يوربا عام ١٩٩٧م. وقد امتازت ترجمته بوضع الرموز الصوتية على الكلمات ثم الاهتمام به غاية الاهتمام من مراجعة وتدقيق، نشرت الترجمة شيباوتما بمدينة إجيبو اودى[٦٧].

٨- وقد قام مجلس مسلمي نيجيريا ببلاد يوربا بإعادة طباعة الترجمة التي قام بها المجلس، وفي هذه الآونة شارك فيها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف استجابة لحاجة المسلمين الناطقين بلغة يوربا بعد نفاد جميع نسخ الطبعة الأولى والثانية والثالثة. اختار المجمع عام ١٤١٥ هجرية

٦٢- رأس وهو في مصطلح عند علماء التراجم، ويقوم مقام الرأس في الجسم كما تقوم السورة في القرآن.

٦٣- آية من الكتاب المقدس.

٦٤- عبد الغني أكوريدى عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٢٩.

٦٥- سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

٦٦- وقد راجت نشرات الطائفة القاديانية في نيجيريا أول ظهورها، وقد انضم إليها المثقفون ولما وقفوا على دعوى مؤسسها للنبوة، تراجع عنها الأكثرون، وأسسوا بدلها الجمعيات الإسلامية.

٦٧- هي مدينة كبيرة تحت ولاية أوغو، يزعمون أنهم نزحوا من أرض وادي بالقرب من دارفو بالسودان. تهتم هذه المدينة بتزيين مساجدها الصغيرة والكبيرة، ويباهون بها المسيحيين الذين يتطاولون في بنيان الكنائس بتلك الجهة.

كلا من الشيخ إبراهيم عبد الباقي محمد، والشيخ عبد الرزاق عبد المجيد ألارو من طلبة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة بمراجعة الترجمة من جديد وتقويمها[٦٨].

٩- بعد ذلك، قام الحاج عبد العزيز الملقب بلاحول بترجمة ثلاثة أحزاب. وهذه الترجمة فيها أخطاء تعود إلى ضعف المستوى اللغوي من المترجم، ومما يزيد الطين بلة، أن المترجم لم يضع النصوص العربية على الإطلاق، وإنما اكتفى بالترجمة الصوتية محل النصوص القرآنية، وتفقد الترجمة المعلومات عن تاريخ التأليف والنشر، طبعت بمدينة إلورن.

١٠- ومن الذين أسهموا في ترجمة بعض معاني القرآن صالح باميدلى، ومن محاسن هذا العمل أنه يحتوي على النصوص القرآنية، والترجمة الصوتية، وإن كان ترجمته لا تزيد على حزب واحد.

١١- ومن الذين أدلوا بدلوهم في الدلاء الحاج عبد السلام بولاجي، ذلك الداعية الكبير المشهود له بالصلاح، وطول الباع في مناظرة النصارى.

١٢- وقد قام أيضاً الشيخ إسحاق أحمد[٦٩] بترجمة بعض معاني القرآن الكريم بدأ من تبارك إلى الناس ويكمن الهدف من القيام بهذا العمل إيجاد ترجمة ذات عقيدة سليمة لأن معظم الترجمات ـ حسب رأيه ـ علمانية الفكرة، واستشراقية المزاج[٧٠] وقد ابتعد المترجم الهفوات الشائعة عند كثير من المترجمين، وإن كان لم يضع الرموز الصوتية التي تستحسن في الكتابات اليوربوية الحديثة.

وهناك محاولة جديدة في ترجمة معاني القرآن الكريم بلغة يوربا على شرائط مسجلة من قبل الغيورين الإسلاميين المتأخرين. وهذا العمل في القديم مفقود إلا أنه ظهر حديثا، ولعل أولهم يحيى إبراهيم[٧١] الذي وضع الشرائط المسموعة بالصوت المحلي مجودا، تعقبها ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية ثم إلى اللغة اليورباوية، وإن كان اكتفى بسورة يس، والواقعة، والملك، ثم جزء عم[٧٢] ثم قام

٦٨- عبد الغني أكوريدى عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٣١.

٦٩- الشيخ إسحاق أحمد من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تخصص في العلوم الشرعية من كلية الدعوة وأصول الدين.

٧٠- عبد الغني أكوريدى عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٣٢.

٧١- يحيى إبراهيم من مدينة إلورن، ولاية كواراه، ولكنه اتخذ بريطانيا مقرا له. تخصص هذا الداعية في الهندسة الإلكترونية، وله اهتمام بالغ وحماسة كبيرة للدين الإسلامي.

٧٢- عبد الغني أكوريدي عبد الحميد، المرجع السابق، ص ١٣٣.

السيد عبد العزيز الندوي أولاولى بدماصي[٧٣] بتسجيل صوتي قرآني على نمط سابقيه، فكانت النصوص القرآنية تتلى بالعربية، وتليها معانيها بلغة يوربا.

إن هذه المحاولات جديرة بالاهتمام والإشادة والتشجيع المعنوي والمادي لأن ترجمة معاني القرآن الكريم بواسطة الشرائط المسجلة أكثر نفعا، وأعم فائدة فهي تفيد الموظفين في مكاتبهم، والمهنيين في مرابعهم، والفلاحين في مزارعهم، والمسافرين في مراكبهم فيكون الحديث على قول الرسول الأمين "بلّغوا عنّي ولو آية".

ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة هوسا:

قد امتازت لغة هوسا على سائر اللغات بغرب أفريقيا لخفتها وسهولة التعبير بها، وانضباطها بقواعد ثابتة كاللغة العربية، ويبلغ عدد من يتكلم بها كاللغة الأصلية عشرة ملايين عدا من يتكلم بها كلغة ثانوية من سكّان الإقليم الشمالي كالفلانيين والبرناويين وغيرهم[٧٤] وانتشرت لغة هوسا في غرب أفريقيا بسبب انتشار قبائلها للتجارة والسياحة، وتكوينهم جاليات كبرى في كل قطر، وفي مدينة هامة[٧٥].

وفي الهوساوية كمية كبيرة من لغات الأجناس المتهوسة من الزنج والبربر والنوبة كما أنها قد اقتبست من اللغة الإنجليزية أسماء المخترعات الحديثة، والمصطلاحات السياسية، فإن لغتهم أشهر لغات غرب أفريقيا تداولا لأنها أخف على اللسان، وأضبط في الذهن.

إن حركات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة هوسا يرجع تاريخها ـ فيما أعلم ـ إلى ١٩٧٩م، ويبدو أن الشيخ محمود جومي ١٩٢٢ـ ١٩٩٢م[٧٦] من الأوائل الذين أسهموا في هذا المضمار. ولعل من الأنسب أن نقتبس من مقالة له في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة هوسا حيث يقول: "... فلما رأينا أن

٧٣- هو من إيروو بولاية أويو، حصل الأخ على الليسانس بالهند والماجستير في الشريعة الإسلامية والتفسير والحديث بباكستان، وهو زميل لي ـ كاتب هذه المقالة ـ بقسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ولاية كوغي، زاده الله عمراً وعافية.

٧٤- آدم عبد الله الإلوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، ص ١٤٣- ١٤٤.

٧٥- المرجع نفسه، ص ١٤٤.

٧٦- وهو من أعلام الإسلام، وقادة الفكر الإسلامي النيجيري، قد أدى هذا الشيخ دورا كبيرا في التعليم والإدارة، ومن أبرز المناصب التي تولاها في حياته، رئيس قضاة شمال نيجيريا، وعضو مجلس جماعة نصر الإسلام، وعضو مجلس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في نيجيريا، وعضو مجلس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومن الدرجات التي كرّموها بها درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة أحمد بلو، وجائزة الملك الفيصل بن عبد العزيز العالمية، عام ١٩٨٧م. وكان آخر مناصبه رئاسة مجلس التعليم التربوي في نيجيريا. وله مؤلفات عدة في الدعوة والعقيدة وغيرهما.

الإسلام ينتشر فهمه، والمسلمين في ازدياد في حين بعد آخر، وأصبح المسلمون في حاجة إلى تعلم مبادئ الإسلام في بلادنا خاصة، وفي غرب أفريقيا عامة، رأينا أن أكثرهم لايستطيعون فهم اللغة العربية بسهولة، ومع أن أكثر سكّان تلك البلاد يتكلمون بلغة هوسا وهي اللغة السائدة فيها مع قلة المعرفة باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم. ولما صار الناس في هذه الأزمنة من قلة التوجيه إلى طلب العلم، وأصبح الأمر واجبا دينيا على رابطة العالم الإسلامي أن تبذل جهدها في ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى لغة هوسا ليعم جميع المسلمين النفع من ذلك الجهد العميم، ويفسح لهم بابا في تعليم مبادئ الإسلام على ما أنزل الله به بيسر وسهولة فقمنا أولا بترجمة تفسير الآيات في جزءين، ثم جزء عم لأنهما أكثر ما يقرأ عند المبتدئين في الصلاة وغيرها. وبعد ذلك بعون الله تعالى أتممنا ترجمة تفسير القرآن كله في عام ١٩٧٩م. وقبل أن نبدأ كل سورة من سور القرآن، حاولنا أن نبين موضوعها الرئيسي لما تضمنته السورة ليكون دليلا للقارئ، ومرشداً له لفهم السورة والآيات التي يقرؤها والمناسبات فيها، وأسباب تكرار القصص في السور. وبعد هذه الترجمة بعون الله تعالى سنقوم بترجمة كتب التفاسير إلى لغة هوسا.

ولقد قمنا بهذا العمل في خلال سبع سنوات وتم بعون الله تعالى، ووجد قبولا لدى الجميع في أول وهلة عند طباعتنا لهذه الترجمة. وكم يعرف كل منا أن هذه الترجمة هي الترجمة الأولى من نوعها: إذ فلا بد لها من قراء على النحو التالي، وذلك أنه سيوجد من يقرؤها ليطلع على الأخطاء حتى يجد مكانا للطعن فيها كما يوجد من يقرؤها بحسن النية لتصحيح بحسن النية ما يراه غير مناسب. ومع ذلك، فكلاهما قدم مساعدة لايستهان بها، وقد أصبح هذا العمل خيراً للأمة الإسلامية عامة، ولي خاصة فالله تبارك وتعالى المسؤول أن يجازي الكل بخير، وأن يصلح نياتنا لقبول الحق من أين جاءنا"(٧٧).

ولئن دل هذه القطعة على شيء، فإنما يدل على أن ترجمة معاني القرآن الكريم عند الهوساويين حديثة العهد بالمقارنة عند اليرباويين، ومهما يكن من أمر، فإن المسلمين الغيورين يبذلون قصارى جهدهم في ترجمة معاني القرآن من لغة إلى أخرى. وقد فسّر هذا العالم نفسه معاني القرآن الكريم إلى اللغة العربية بعنوان: **رد الأذهان إلى معاني القرآن** ومن الذين ترجموا معاني القرآن الكريم إلى لغة هوسا الشيخ محمد الناصر الكبري ١٩١٢ – ١٩٩٧م(٧٨).

٧٧- اقتبسنا هذه القطعة من مقدمة كتبها الشيخ محمود أبوبكر جومي في **ترجمة معاني القرآن الكريم** إلى لغة هوسا.

٧٨- سليمان موسى، **الحضارة الإسلامية في نيجيريا**، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٢١. والناصر محمد الكبري من كبار شيوخ الطريقة القادرية في نيجيريا. وله كتب تزيد على مائة كتاب باللغة الهوساوية والعربية.

وهناك قبيلة إغالا في نيجيريا حوالي مليون نسمة، وأغلبهم مسلمون، قد بدأ مسلموها في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة إغالا جماعيا. وقد وصلت الترجمة إلى خمسة أحزاب، نسأل المولى العزيز القدير أن يساعدهم على تتميمها في القريب العاجل.

القرآن الكريم والمستقبل:

فالمتدبر للقرآن الكريم يجده منذ العهد المكي يوجه أنظار المسلمين إلى الغد المأمول، والمستقبل المرتجى، ويبين لهم أن الفلك يتحرك، والعالم يتغير، والأحوال تتحول، فالمهزوم قد ينتصر، والمنتصر قد يهزم، والضعيف قد يقوى، والدوائر تدور، سواء أكان ذلك على المستوى المحلي أم العالمي وعلى المسلمين أن يهيئوا أنفسهم، ويرتبوا بيتهم لما يتمخض عنه الغد القريب أو البعيد، فكل آت قريب(٧٩).

وأصبح واجبا على كل مسلم أن يفعل كل ما في وسعه لخدمة الإسلام والمسلمين بأية وسائل ممكنة، إما في سبيل الدفاع عن القرآن الكريم بعلمه، أو بالنفقة على نشره بماله إلى مكان به حي آدمي على سطح الأرض، وقل اعملوا وسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

الخاتمة:

إن ترجمة معاني القرآن الكريم، مهما بلغت دقتها، ستكون قاصرة عن أداء المعاني العظيمة التي يدل عليها النص القرآني المعجز، وأن المعاني التي تؤديها الترجمة إنما هي حصيلة ما بلغه علم المترجم في فهم كتاب الله الكريم، وأنه يعتريها ما يعتري عمل البشر من خطإ أو نقص.

****

٧٩- يوسف القرضاوي، **أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة**، مكتبة وهبة، دار الصحوة للطباعة، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٦م، ص ١١٤.